

## نداء الشعب الفلسطيني في الذكرى الخمسين للنكبة 1998/5/20\* [مقتطفات]

نحن المولودين هنا، على هذه الأرض السماوية، نحن المنذورين لرسالة السلام والحرية، وللدفاع عن معاني الإنسان الأولى وعن صلابة خضرة الزيتون، نحن المطعونين بليل خمسين عاماً من الاحتلال والتشريد، المجروحين من الوريد إلى الوريد.

نعلم حضورنا المدوّي في المكان والزمان، رغم الأعاصير التي تحاول اقتلاع جذورنا من الأرض التي نحن أول أسمائها. لم نهبط من ليل خرافة أو أسطورة، بل ولدنا في وضوح نهار التاريخ على هذه الأرض. أرضنا التي أنجبت إحدى أقدم الحضارات، حيث اهتدى الإنسان إلى بناء بيته الأول، وإلى زراعة القمح الأولى، وابتكر أولى حروف الأبجدية، ورفع من على تلال القدس أولى صلوات الشكر للخالق، وكانت أرضنا الصغيرة ملتقى الحضارات والثقافات وما بينها من صراع وحوار، وكان تكويننا الثقافي هو النتاج الطبيعي لكل ما ورثناه من تعدد وتنوع، حيث بدأ تاريخنا الإنساني مع بدء تاريخ الإنسان، بدأ تاريخنا العربي مع بدء تاريخ العرب، وبدأ وعينا بتاريخنا الوطني مع مقاومة ما تعرضت له أرضنا من مطامع وغزوات.

وإذ نقف اليوم أمام جرحنا المفتوح منذ نصف قرن من النكبة والمقاومة، بقلوب يعصرها الألم لما انطوى عليه الماضي الممتد من مصائر مأساوية، فإننا نتطلع إلى المستقبل المرفوع على سواعدنا بقلوب يغمرها الأمل بانتصار الحرية والعدالة، بعدما انتصرنا على مشروع الإبادة والتغييب ومحو اسم فلسطين عن خارطة فلسطين.

[.....]

بقوة البقاء والصمود والمقاومة، وبصدق الحقيقة الفلسطينية العربية والحق في الوجود، أسقطنا أكذوبة الشعار الصهيوني الكلاسيكي القائل بأرض بلا شعب لشعب بلا أرض، الذي اعتمد على الخرافة المدججة بالسلاح والإرهاب، لإخراجنا من الأرض ومن التاريخ، ولتجريدنا من شرعية وجودنا الوطني، ودفعنا إلى الغياب عن ذاتنا وعن الوعي الإنساني. وعلى الرغم من نجاح المشروع الصهيوني في عام 1948 في احتلال الأرض وتشريد أغلبية الشعب الفلسطيني، بقوة السلاح وارتكاب المجازر الكبيرة والصغيرة، وفي تغيير معالم الأرض الطبيعية والديموغرافية، وتدمير 418 قرية للتدليل على أننا لم نكن هنا أبداً ولن نوجد، لا حاضر لنا ولا ماضي ولا ذاكرة! على الرغم من ذلك، بقيت الحقيقة الفلسطينية حية في بحث العرب عن ذاتهم وعن وجودهم في التاريخ، وبقيت حية في سعي الشعوب المستعبدة إلى تحررها، وذلك بفضل صمودنا الجسدي والثقافي والمحافظة على ذاكرتنا الجماعية، وبعدها العربي والإنساني.

إن تحويلنا بعد عام 1948 إلى أقلية مضطهدة في وطننا، وإلى لاجئين فيه وعلى تخومه وتقطيع بلادنا إلى أجزاء منفصلة، لم يتمكن من تصفية خصائصنا الوطنية والقومية، ولم يتمكن من تغيير وعي الشعب العربي الفلسطيني بوحده، وبوحدة الأرض والشعب والتاريخ. فلقد حافظت هذه الأقلية على هويتها وأنقذت هوية الأرض من التزوير، وأسهمت في يقظة الروح الفلسطينية، وفي بلورة الملامح الأساسية لهويتنا الوطنية والثقافية. كما تحولت مخيمات اللجوء من مشروع للشثات الدائم وانتصار النسيان على الذاكرة الجماعية إلى مصدر من مصادر التغيير في العالم العربي، حيث انفجرت منها طاقات المقاومة والثورة على الاحتلال وتفاؤل الإرادة في الانتصار على موازين القوى، وتبلور فيها الوعي بالارتباط العميق بين مهمة تحرير الأرض وتحرير الإنسان.

[.....]

\* موقع السلطة الفلسطينية في الإنترنت: <http://www.pna.org>

وقد وضع النداء لجنة غير رسمية مؤلفة من 50 عضواً يمثلون مختلف القوى والتيارات السياسية الفلسطينية (باستثناء "حماس" والجهاد الإسلامي). وتلا النداء الشاعر محمود درويش.

ومع البندقية رفعنا غصن الزيتون، قاتلنا من أجل إنجاز حقنا الطبيعي في التحرر والاستقلال الذي يمهّد الطريق الأمن أمام سلام حقيقي، ويخلق المناخ الملائم للتعايش الطوعي بين الإسرائيليين والعرب على أرض فلسطين، التي شهدت وقائع جديدة لا يمكن للباحثين عن تسوية سلمية تجاهلها، فاقترحت منظمة التحرير الفلسطينية على الإسرائيليين تسوية تاريخية تتضمن الدعوة إلى العيش المشترك في إطار دولة ديمقراطية علمانية يتعايش فيها الجميع على قدم المساواة. لكن السياسة الصهيونية ذات الطبيعة العنصرية، والمسكونة بعقلية القلعة النووية المسدودة أمام الأفق والآخر، سرعان ما استهترت بهذه الدعوة لحماية طهارة الدولة اليهودية المنتمية إلى نسق حضاري مغاير لطبيعة الشرق العربي الذي كان دائماً مسرحاً للتعدد والتنوع، ضمن توازن لا تضع فيه الحدود بين الكتل الديموغرافية والثقافية الكبرى وكتل الأقليات، فلم يسبق لأقلية أن فرضت إرادتها وهيمنتها على الأغلبية وحولت نهر التاريخ عن مجراه.

ومن منطلق الإيمان بالسلام قيمة إنسانية عليا ومصالحة وطنية، كان علينا أن نميز بين حدود وطننا التاريخي وبين حدود حقنا المعترف به دولياً في إقامة دولتنا المستقلة على جزء من أرض فلسطين، إلى جانب دولة إسرائيل التي كان إنشائها مرتبطاً بنشوء الدولة الفلسطينية، لقد تبيننا الحل القائم على مبدأ دولتين لشعبين، وهو حل لا يعتمد على موازين القوى وحدها، لأن مثل هذا الحل سيبقي حلاً مختلاً باختلال هذه الموازين، فالحل الحقيقي يقوم على أسس العدالة والحق وتوازن المصالح، ويستند إلى وعي تاريخي جديد، وإلى ثقافة جديدة تعيد قراءة الماضي وتجري مراجعة جذرية لحجم المأساة التي ألحقها نشوء إسرائيل بالشعب الفلسطيني.

إن الاعتراف الصريح بالمسؤولية الأخلاقية والسياسية عن الجريمة التي ارتكبتها المشروع الصهيوني بحقنا وما يستتبع هذا الاعتراف من استحقاقات سياسية تعترف بشرعية وجودنا على أرض وطننا التاريخي، وحقنا في ممارسة السيادة في إطار دولتنا المستقلة هو الذي يوفر المناخ لمصالحة تاريخية بين الشعبين وليس مطالبة الفلسطينيين بالاعتذار عن تاريخهم وأدبياتهم السياسية وتصعيد حركة التوسع الاستيطاني المسعور، والتنصل من الاتفاقيات الموقعة بين منظمة التحرير الفلسطينية وبين حكومة إسرائيل، والاستمرار في مصادرة الأرض وفرض الأمر الواقع الذي تعتقد الحكومة الإسرائيلية أنه سيرغم الفلسطينيين والعرب على الاستسلام وسيرغم المجتمع الدولي على التكيف مع مفهوم استقلال سؤال الأمن عن مسألة السلام.

[.....]

وإذا كان من واجبنا الأخلاقي أن نقبل الرواية اليهودية عن الهولوكست، كما هي دون التدخل في النقاش حول الجانب الإحصائي للجريمة، وأن نرفع من درجة تعبيرنا عن التعاطف مع الضحايا فإن من حقنا أيضاً أن نطالب أبناء الضحايا بالاعتراف بمكانة الضحايا الفلسطينيين وبحقهم في الحياة والخلص والاستقلال.

[.....]

لن نستسلم. ولن نفقد الإيمان بالسلام الحقيقي المرتبط بتطبيق العدالة وممارسة حقنا في الاستقلال والسيادة. إن خمسين عاماً من النكبة لم تكن بكاء على ذكرى أليمة، فالماضي لم يذهب تماماً، والمستقبل لم يصل بعد وما زال الحاضر مفتوحاً على الصراع لقد شهدت هذه السنوات الحزينة ملاحم شعبية من الصمود والمقاومة وتعبئة الطاقات لتصفية آثار النكبة، لكي نوفر لأجيالنا القادمة حق الحياة بحرية وكرامة في وطنها، ونحن الذين لم ننتهون في الدفاع عن حقنا في أن نكون شعباً حراً في وطن حر، تبنيه المساواة بين المرأة والرجل، والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، وانتصرنا على مشروع إخراجنا من التاريخ، وأرغمنا المحتل على الانسحاب من أجزاء غالية من أرض الوطن، تحت ضربات الانتفاضة المجيدة التي غيرت صورة الاحتلال في مرآة الضمير العالمي، وتحولت إلى مصدر إلهام للمقهورين والغازبين، نحن الذين وهبنا أنفسنا للحرية والسلام، لن نخمد فينا روح المقاومة والشبقي إلى الحرية على أرض وطننا التي لم نولد على أرض سواها. فنحن هنا منذ الأزل، وسنبقى هنا إلى الأبد، وستبقى القدس منارة أرواحنا وعاصمة بلادنا إلى الأبد...

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
[http://www.palestine-studies.org/ar\\_index.aspx](http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx)